عزيز السيد جاسم

دفاعاً عن لبنان والمقاومة الفلسطينية
كيف يكون الضامن ؟

شغل القطر اللبناني مكانة استراتيجية متزايدة الاهمية في النضال العربي ، وبالاخص بعد الانكسار الذي منيت به حركة المقاومة الفلسطينية في احداث الاردن عام ١٩٧٠ .

وفيما بدت الساحة اللبنانية وكأنها ليست من دول المواجهة الجدية مع العدو الصهيوني ، كما اشارت الى ذلك المظاهر وليس الظواهر ، اكتسبت تلك الساحة اهمية متنامية ومتعاظمة لصالح الوجود الفلسطيني العربي ، وحقه في النضال ضد الكيان الصهيوني.

ورغم المميزات الخاصة التي انطوى عليها الوضع السياسي في لبنان ، فان المميزات المتقدمة للنشاط الوطني اللبناني ، والعلاقات الديمقراطية التي اكتسبتها الحركة الوطنية بالنضال ، وتحول لبنان الى مركز للنشاط القومي التحرري ، والى موقع اشعاع ثقافي باد للعيان ، كل ذلك احاط النضال الفلسطيني العربي بضوابط وأطر وطنية وقومية جيدة ، دفعت الامبريالية الامريكية الى ان تحسب الف حساب لقوة المتغيرات القومية والديمقراطية في التجربة اللبنانية .

ان القبول الامبريالي العالمي بالوضع اللبناني التقليدي ، مرهون بحدود عدم السماح لذلك الوضع باطلاق ابعاد ملموسة لصالح النضال الفلسطيني وحركة التحرر الوطني العربية والديمقراطية .

وبمعنى اخر ان التضحية بلبنان واردة اساسا ، من زاوية المصالح الامبريالية ما دام ليس بالامكان ارجاع لبنان الى صورته التقليدية .

فكيف والامر قد تجاوز ذلك الى تحول لبنان الى موقع خطير في النضال العربي بعامة والفلسطيني بخاصة ؟

وقبل البدء بالشكل المسلح للمؤمرة الامبريالية ضد لبنان ، اقتطعت المؤامرة مسافة تمهيدية ، أي ان المؤامرة ابتدأت قبل الفصل المسلح الذي لا زال قائما منذ اكثر من ستة عشر شهرا . وقد ركزت المؤامرة في طورها التمهيدي على :

١ ـ اثارة اللعبة الطائفية لتمزيق وحدة الجماهير والتشويش على الخطوط السياسية للمؤامرة .

٢ ـ تصعيد التناقضات بين صفوف الحركة الوطنية .

٣ ـ تغذية التناقضات داخل الصفوف الفلسطينية .

٤ ـ القاء مواد الاشتعال في مجرى افتعال التناقضات الفلسطينية ـ اللبنانية .

٥ ـ الحيلولة دون وحدة حركة المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية .

٦ ـ الاحتواء الطائفي بالتخطيط والاكراه للقضايا ذات المضمون السياسي .

اضافة الى نشاطات مشبوهة اخرى بغية التأثير على السمات الايجابية المتميزة لوضع لبنان الوطني والقومي والثقافي والحد منها باقل تقدير .

واذا كانت الابعاد اللبنانية للتفكير الامبريالي والرجعي مرسومة على اساس المؤامرة بمعناها الكامل ، وعلى مراحل ، فان جريان ذلك قد تم في المجرى الاوسع للنشاط الامبريالي الامريكي ، وهو العمل من اجل ضم بعض الاطراف الفلسطينية الى جدول الاتفاقيات التسووية مع العدو الصهيوني . وفي الرحلة من اتفاقية سيناء ، الى اتفاقيات تسووية اخرى ، احتدمت المؤامرة في لبنان .

وقد اضطلع النظام السوري بدور مخصوص ، منذ الطور التمهيدي للمؤامرة ، مدفوعا باعتباراته وخصوصية ظروفه .

فالتناقض الصارخ بين الادعاءات الوطنية والقومية والفلسطينية للنظام ، وبين سيره الحثيث الى اتفاقية متكاملة مع العدو الصهيوني، قد اوقعت به في سلسلة من التناقضات غير المستورة .

الا ان الموقف الاساسي للنظام السوري تمثل بالضبط في كيفية تخريج سياسته بدون وطأة تلك التناقضات . أي كيف ينجز صفقة كبرى بشأن الجولان والتسوية الشاملة ، في اطار السياسة الامبريالية الامريكية ، دونما اخلال بادعاءاته الوطنية والقومية والفلسطينية ؟

في النطاق المذكور للرؤية الحكومية السورية ، جرت المراهنة على علاقة النظام السوري ببعض الاوساط في حركة المقاومة الفلسطينية للعمل على (فلسطنة) الصراع وتصفية النضال الفلسطيني من مواقعه المتقدمة .

واعتمادا على دراسة ليست بسيطة باحداث ايلول في الاردن وظروف التوطئة لها ، فقد كان المنطلق هو افتعال الصراع اللبناني تحت واجهات طائفية ، وشن الهجوم على الحركة الوطنية اللبنانية، وانتظار التناقضات الفلسطينية الناجمة عن موقف الحياد الذي قد تتمسك به بعض الاوساط في حركة المقاومة الفلسطينية ، وترفضه أوساط اخرى .

ازاء التقدير المذكور ، في حسابات النظام السوري ، كان التوقع هو : انتقال الصراع الى الصفوف الفلسطينية المقاتلة وانسحاب ذلك باشكال متعددة للصراع بين فصائل فلسطينية وفصائل وطنية لبنانية ، سرعان ما انتقل الى مستوى صراع لبناني ـ فلسطيني تتيح له الدوائر المخططة الحلول في مشاريع جزئية قد يجد فيها بعض الفلسطينيين مكانا ما يسمى زورا دولة .

الذي الفى التقديرات السورية : هو وعي حركة المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية بطبيعة المخطط الانقسامي التآمري .

ورغم ان النظام السوري بدأ في الفترة الاولى من المؤامرة المسلحة حذرا في تخطيطه ، معتمدا على أدواته في منظمة (الصاعقة) الركيزة

الجوهرية في (فلسطنة) الصراع ، الا ان ذلك الحذر فارقه امـــام الوقفة الكفاحية التضامنية للحركة الوطنية اللبنانية وحركة المقاومة الفلســطينية .

وكان التدخل العسكري الصارخ تعبـــيرا عن العنجهيـــة التي استثمارها فشل كبير في التوقعات والحسابات ، وتلك خصلة في صلب طبيعة النظام السوري لا شك .

وقد كشف الغزو العسكري الذي باشرته ادوات النظام السوري العسكرية عن اهدافه العاجلة وهي :

١ ـ اسناد اليمين الفاشي المتقهقر وشد ازره .

٢ ـ توجيه ضربة انتقامية لحركة المقاومة الفلسطينية وللمخيمـات الفلسطينية بالذات على نحو يكشف عن عقدة جديدة للنظـام تنبع من طبيعته ، اسمها العقدة الفلسطينية وقوامها مقت كـل مـا هو فلسطيني .

٣ ـ فرض الحلول من موقع الغزو والسيطرة العسكرية .

ومن المؤكد ان قوة المجابهة العسكرية الثورية الموحدة لبنانيـا وفلسطينيا قد احبطت العديد من حلقات المؤامرة الامبريالية ، رغـم التضحيات الهائلة التي فرض على الجماهير اللبنانية ـ الفلسطينيـة ان تقدمها .

ولا يزال واردا في اذهان رؤوس النظام السوري واليمين الرجعي الفاشي اللجوء الى حيل الهدنات والمفاوضات لاعطاء القوى المتآمـرة والمجرمة فرصا للهجوم الكثيف من جانب ، وللبحث عن تناقضـات محتملة في الصفوف الوطنية اللبنانية والفلسطينية بشان الموقـف من التفاوض من جانب اخر .

ومهما تكن نوعية الاساليب التي تلجأ القوى العدوانيـة الى اتباعها ، في مسيرة الحرب القذرة التي تشنها بلا حياء ، فان مـن الحقائق الثابتة ، ان السبيل الوحيد لانقاذ الثورة الفلسطينيـة والحركة الوطنية اللبنانية والجماهير اللبنانية والفلسطينية يتمثـل في الحفاظ على وحدة الموقف الثوري للحركتين الوطنيتين اللبنانيـة والفلسطينية ، وتعزيز هذه الوحدة وتصعيدها طبقا للاهداف الوطنية والقومية الموحدة ، ومن منطلق الاستيعاب العميق لدروس التجربـة الهائلة الدائرة على الساحة اللبنانية ، والتي فرزت امورا اساسـية على نحو جذري لا يمكن ابعاده عن أي تصور للحاضر أو للمستقبـل. وكذلك ، يتمثل في الوعي الشامل بابعاد وهدف المؤامرة الجاريـة في لبنان ، والشروط الاساسية اللازمة للتصدي للمؤامرة والحيلولة بينها وبين تحقيق هدفها .

ان خطورة المؤامرة ، باعتبارها غير مقتصرة على القطر اللبناني، بل تشمل القضية الفلسطينية من الجذر ، وتتصدى لحركة التحرر الوطني العربية ، تستلزم تقوية صمود الحركتين الوطنيتين اللبنانية والفلسطينية في عملية المجابهة الثورية الموحدة لهما .

وهنا تتجلى القيمة الحقيقية للحرب طويلة الامد ، التي هيمن اولى سمات حرب التحرير الشعبية ، والتي تدخل في مسلمات حركة المقاومة الفلسطينية والعمل الفدائي .

واذا كان من غير المنطقي تراجع القوى المتآمرة والعدوانية عـن نهجها ، ما دامت لم تحقق أيا من اهدافها ، فان من غـير المنطقي الانخداع باساليب تلك القوى من قبل الاوساط الوطنية والجماهـير الشـعبية .

ويفترض عدم الانخداع ، التحلي بالنفس الثوري وعدم التعامل مع الصراع القائم وكأنه مشكلة لابد من حسمها زمنيا بالتسـويـات والتنازلات . وان الموقف الثوري المجيد للحركتين الوطنيتين اللبنانية والفلسطينية يقدم امثلة مشرقة في ادراك خطوات الاعداء والاساليب التي يعتمدونها .

وانطلاقا من اعتبارات الحرب الثورية ، حرب الشعب التي قد تكون طويلة الامد ، فان التمرس الكفاحي المسلح الذي يتنامى في لبنان بصورة باهرة ومتميزة في التاريخ ، قادر على احباط الفصول الخطيرة من المؤامرة .

بالمقابل ، فان النظام السوري وضع نفسه في موضع لا يحسـد عليه مطوقا اياها بمشكلات خطيرة . ان الجماهير العربية في القطـر السوري لا ترى اية مصلحة لها في العدوان على الجماهير العربيـة اللبنانية والفلسطينية وتعريضها باستمرار للابادة .

وبالعكس ، فان الاعباء المادية والمعنوية التي تدفـع ثمنهـا ، والتضحيات القسرية ، وخسران العديد من ابنائها في حرب غادرة ضد الاشقاء ، تضع بينها وبين النظام السوري هوة كبيرة لا يمكـن تسـقيفها .

كذلك الامر بالنسبة للقوات العسكرية التي سرعان ما تتلقـف ارادة شعبها وتتململ حتما في ظل وضع عدواني مفضوح ليس بالامكان تبريره .

وعلى الصعيدين القومي والعالمي لم يجد النظام السوري مـن ينتصر له من قبل الاحزاب والقوى والاوساط التقدمية والخيرة بـل قوبل بالادانة والاستنكار من قبل الرأي العام العربي والعالمي ، الى الحد الذي حشر فيه نفسه في زاوية حرجة ، لا تسمح له بالذهـاب بعيدا في التوغل العدواني داخل لبنان .

ان العدوان طويل الامد كفيل بتشظية قوى المعتدي ، وانهاكه حتمـا .

بالطبع لا يغفل احد دور الدعم الامبريالي غير الاعتيادي للاطراف المشتركة في الهجوم العدواني ، ضد الثورة الفلسطينية والحركـة الوطنية اللبنانية والجماهير . الا ان الحقيقة المواجهة لذلك ، هي ان الموقف القومي العربي الموحد في الانتصار لحـركة المقـاومـة الفلسطينية وللقطر اللبناني ، ودعمهما بارقى اشكال الدعم والتضامن، كفيل باسناد الصمود الكفاحي المسلح مهما طال امده .

ومن هنا تعطى لموضوع التضامن مع الحركتين الوطنيتين اللبنانية والفلسطينية اهمية استثنائية ، بالمنظور التالي :

أولا : ان التضامن يجب ان يكون متميزا تقرره سببا ونتيجـة قومية الصراع الدائر في لبنان ووحدة مصالح النضال العربي .فالنضال اللبناني الفلسطيني يتبوأ الان مكانة طليعية في مجمل عملية صـراع الامة العربية ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية . وبالتالي فـان انتصارات النضال اللبناني الفلسطيني أو اخفاقاته سرعان ما يرتسم مردودها على مصالح الامة العربية ونضالها القومي .

ان التضامن المنشود ، يجب أن يكون اكبر مما تطرحه كلمـة التضامن في مجال دعم الاصدقاء .

واذا استطاعت الاحزاب والقوى التقدمية ان تتوصل في مرحلة سابقة الى صيغة الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية والتأكيد على كلمة « المشاركة » بما تحمله من معان اكثر دقة من « المساعدة » بالمفهوم السياسي ، فان التضامن مع الثورة الفلسطينية والحركـة الوطنية اللبنانية ، يجب ان يتجاوز الاشكال التقليديـة للدعـم والمساندة .

وبالضبط ، ان التضامن العربي يكتسب معانيه الحقيقية من خلال الطرح المصيري : وحدة الكفاح ، وحدة الموقف ، وحدة مصالح النضال العربي ، واستقطاب ذلك بتمامه في النضال الفلسطيني اللبناني .

ثانيا : ان امكانات الدعم الامبريالي للافواج اليمينية المسعورة ، والظروف التي اتاحت وتتيح للنظام السوري الغزو العسكري السريع، والمحاصرة ، وخنق مداخل لبنان ومخارجه وصلة ذلك بامكانات العدو الصهيوني الرابض على الحدود اللبنانية واعتداءاته المتلاحقة ، تضع العرب امام مسؤولية قومية تاريخية ، بتقديم الدعم المؤثر ، وانتهاج الاساليب الضرورية لفرض التراجع والانسحاب على قوات النظام السوري العسكرية والدفاع عن حق الجماهير اللبنانية والفلسطينية في الذود عن كرامتها الوطنية . كما ان مسؤولية الاصدقاء ، وبالاخص القوى التقدمية المتحالفة والمتضامنة مع حركة التحرر الوطني العربية، والثورة الفلسطينية محور تلك الحركة ، مطالبة برفع مستوى التضامن مع النضال اللبناني والفلسطيني . لان الانتصار الامبريالي في تلك الحرب القذرة ضد الجماهير يعني تعريض الثورة العالمية لاخفاق خطير ، وتعريض مصالح شعوب العالم كافة لاضرار فادحة .

ثالثا : ان التضامن مع النضال اللبناني والفلسطيني يجب ان يتصاعد الى مستوى ضرورات الرد على شراسة الهجمة الانتقامية ضد الجماهير وقواها الطليعية ، والتي لم تعد تميز بين احد واحد في عمى ضراوتها . فمن اجل ان تدمر موقعا وطنيا في مدينة ، تدمر المدينة بكاملها وتبيد الجميع . هذا هو منطق تلك الهجمة ، وخطها .

وان جسامة التضحيات اللبنانية والفلسطينية ، وقسوة الظرف الدموي الذي تجتازه ، والحجم الكبير للمؤامرة المستمرة ، وما يعنيه ذلك بالنسبة للجماهير اللبنانية الفلسطينية من عذاب لا يوصف ، كل ذلك يحتم التعجيل بتقديم دعم فعال على جميع الجبهات ، للحركة الوطنية اللبنانية وحركة المقاومة الفلسطينية، وممارسة الضغوط المؤثرة من اجل انسحاب قوات النظام السوري، وايقاف سيل الدماء ، وكبح جماح القوى الفاشية .

رابعا : ان مقررات المؤتمر الشعبي العربي ، في الدعم المادي والعيني والسياسي والاعلامي والاشكال الاخرى للدعم ، يجب ان تتحقق بالسرعة المنشودة ، وبصورة منهجية متكاملة .

مع ضرورة انتهاج الاساليب القادرة على اعطاء (التطوع) تطبيقه العلمي الملموس ، كيما تتوافر الامدادات البشرية ، الى جانب الامدادات المادية والعينية ، والاشكال الاخرى للتضامن والدعم .

خامسا : ان منهجية التضامن والدعم بالمعنى القومي والمصيري، تتحقق من خلال بناء الجبهة الشعبية القومية التقدمية ، التي تعبيء احزاب وقوى ومنظمات الجماهير الوطنية المناضلة ، والتي يشدها برنامج كفاحي قومي وديمقراطي يستجيب لارادة ومصالح الجماهير في النضال من أجل تحررها الكامل والشامل ، وتجسد ضرورات المرحلة في التصدي للهجوم الامبريالي بقيادة الولايات المتحدة الاميركية ، وتساهم في تعزيز المواقع التحررية العربية والدفاع عن المكاسب الوطنية والقومية والديمقراطية .

وان اقصى الوعي واليقظة ازاء احتمالات تصدير الدوائر الامبريالية لطبعات جديدة من المؤامرة ضد لبنان والمقاومة الى مواقع عربية اخرى ، هو امر ملح .

سادسا : تتحمل الحكومات العربية مسؤولياتها في تطبيق قرارات الجامعة العربية ، والتصدي لمواقف الخرق والتحايل من قبل النظام السوري والقوى المشبوهة .

سابعا : استنادا الى المعنى القومي المصيري للتضامن ، فان من الضروري تكثيف التوجه الى الجماهير العربية وقواتها المسكرية في القطر السوري للمشاركة في الموقف التضامني .

ان الجماهير تدرك ان عدوان النظام السوري ضد الجماهير اللبنانية والفلسطينية ، هو عدوان عليها أيضا ، ولذلك فهي واحزابها وقواها الوطنية الغيورة مدعوة الى تأدية دور مشرف في الضغط على النظام ، ومحاسبته ، والانتصار للثورة الفلسطينية وللحركة الوطنية اللبنانية .

ثامنا : ان الدعم الاعلامي للثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ، يجب ان يتطابق مع المعنى القومي المصيري للتضامن ونجدة الثورة الفلسطينية والجماهير المناضلة في لبنان . وكما ان التضامن ليس ممارسة اعلامية بحتة بل مهمات تضامنية مصيرية ثابتة ، فان الاعلام المستجيب لنداء تلك المهمات المصيرية يجب ان يتجاوز الحدود التقليدية للاعلام . ولابد ان تتوجه جميع ادوات الاعلام ووسائطه وانشطته الى ما يجري على الساحة اللبنانية باهتمام عميق ومتابعة جادة تخدم النضال الفلسطيني واللبناني ، وتعزز تلاحمه ، وتقوي أواصر التحالف القومي التقدمي من أجل الانتصار للبنان والمقاومة وردع المؤامرة اللئيمة .

« الجمهورية » البغدادية ٢٧ تموز ١٩٧٦

الفكر العربي
في معركة النهضة

تأليف الدكتور انور عبد الملك

« هذا الكتاب موجه في المقام الاول الى قطاع محدود من جمهور القراء في العالم العربي ، هو قطاع الجيل الجديد من شبابنا العربي في كل مكان ، شباب الريف والمدن ، شباب الفكر والعمل . شباب الانتاج والعلم والسلاح . ربما يجد فيه بعض رجال الفكر والعمل من جيلنا ـ الذي كان « على موعد مع القدر » ـ اسهاما في نهضتنا الحضارية . نقول «البعض» ، اذ ان منهج التنقيب عن مستقبل الفكر العربي في عصر النهضة الحضارية ، وهو المنهج النابع من تغيير الاطار المعرفي ـ وهو جوهر عملنا النظري القائم منذ ١٩٥٩ ، والمرتقب، الا وهو تجديد الفلسفة الاجتماعية على ضوء تفاعل حضارات الشرق والغرب ـ نقول : ان هذا المنهج وذلك التجديد النظري يمتدان على وجه التحديد الى مرحلة الثورة الوطنية التقدمية من حركتنا الوطنية المتأقلمة في اغلب الاحيان في اجواء ثقافية ـ فكرية استشراقية ، او امية ، او سلفية .

وهو كتاب يتصدى للاجابة على سؤال مركزي في تحركنا العربي المعاصر ، الا وهو : كيف يمكن ان نقيم علاقة جدلية ، عضوية ، متصلة ، بين تحركنا الوطني التحرري المتجه الى الثورة الاجتماعية والهدف الاشتراكي من ناحية ، وبين اقامة فلسفة تواكب هذا التحرك الذي فرض نفسه على العالم اجمع ، تكون ، على وجه التحديد ، فلسفة النهضة الحضارية في مصر والعالم العربي »

منشورات دار الاداب

ـ من المقدمة ـ

الثمن ٨٥٠ قرشا لبنانيا